

الفصل الأول

شرق وغرب

خمسة قرون قبل المسيح في مدينة صغيرة على التخيم الغربي لعالم مستقر متمدن، كانت تعمل سلطة جديدة غريبة. شيء ما استيقظ في عقول وأرواح الناس هناك، وأثر في العالم حتى أن مرور الزمن الطويل مروراً بطيئاً، قرناً بعد قرن كان أضعف من أن يزيل هذا الانطباع العميق فقد دخلت اثينا عصر ازدهارها القصير والرائع من العبقرية التي صاغت عالم الفكر والروح اللذين يختلف عنهما فكرنا وروحنا في هذه الأيام.

فنحن نفكر ونشعر بطريقة مختلفة بسبب مافعلته مدينة يونانية صغيرة خلال قرن أو قرنين، منذ ألفين وأربعمئة سنة وما أنتج آتئذ من فن وفكر لم نستطع أن نتجاوزه ولا أن نجاريه، وطابعه يسم كل فن العالم الغربي وفكره. ومع ذلك فإن هذه القامة السامقة للعظمة عبرت الزمن عندما تلاشت حضارات العالم القديم الجبارة وعندما كان ظل «البربرية الخائفة» قائماً يلف الأرض. في ذلك العالم الأسود والوحشي كان يعمل مركز صغير من الطاقة الروحية الحارة. لقد ظهرت حضارة جديدة في أثينا، ولا تشبه أي حضارة غبرت قبلها.

ما جعل هذا التطور يظهر، وكيف استطاع الإغريق تحقيق كل مافعلوه هو شيء هام لنا اليوم. لم يكن فقط ان اليونان شددت انتباهنا لأبنا بحكم وراثتنا الروحية والفكرية إغريق في جزء منا. ولا نستطيع مهرباً لو رغبتنا بأن يلامس ذلك التأثير العميق الذي عمل بضوء العقل ونعمة الجمال، بدائمي الشمال المتوحشين. فقد ساهمت أثينا في التأثير علينا أيضاً. فالآثار الإغريقية الفعلية كانت قليلة وقصية يفصلنا عنها المكان والغرابة واللغة الصعبة، فهي آثار يراها المسافرون ويهتم بها الباحثون لا أكثر. لكن ما